

العراق في الميزان الأمريكي-الإيراني: الأبعاد والتحديات السياسية والأمنية (2022-2003)

Iraq between Iran and the United States: Dimensions and Politico-Security Challenges (2003-2022)

محمد أمين سويعد

جامعة الجزائر 3، (الجزائر)، mohamedaminesouyad@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/29

تاريخ قبول النشر: 2022/10/01

تاريخ الاستلام: 2022/08/23

ملخص:

سعى العراق لاسترجاع سيادته الوطنية، واستعادة مكانته في الشرق الأوسط، وإقامة علاقات متوازنة مع دول المنطقة والعالم، بعيدا عن الصراعات الإقليمية والدولية، إلا أنه وجد نفسه ساحة للتنافس والصدام بين عدة قوى إقليمية ودولية، وأهمها التنافس الإيراني-الأمريكي الذي انعكس بشكل سلبي على الاستقرار السياسي والأمني في البلاد، وذلك للتأثير الكبير لهاتين القوتين في مختلف قطاعات الدولة العراقية. تهدف هذه الورقة البحثية إلى إظهار ملامح وأبعاد التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران في العراق، وكذلك الأدوات التي توظفها كل قوة في سبيل تحقيق غاياتها الاستراتيجية، وتعزيز نفوذها على حساب الأخرى، كدعم القوى السياسية المعارضة، ودعم الفصائل المسلحة غير النظامية، والتواجد العسكري المباشر، وغيرها، والتي حالت دون عودة الاستقرار السياسي والأمني في العراق، ووحدته المجتمعية والوطنية.

الكلمات مفتاحية: العراق؛ إيران؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛ الشرق الأوسط؛ التنافس.

Abstract:

This article aims at presenting the various features and dimensions of the U.S.-Iranian competition in Iraq, as part of a broader regional competition, as well as the tools that are being used to enhance their strategic goals and leverage at the expense of one another, including support for opposing political blocs, and non-state armed groups, in addition to direct military presence, to mention a few. This contention between Iran and the U.S. is widely deemed a hurdle hindering the restoration of stability, tranquility and societal cohesion in Iraq.

Keywords: Iraq; Iran; United States; Competition; Middle East.

1. مقدمة:

ذكرت وثيقة الأمن القومي العراقية لعام 2015 أن الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية العراقية تكمن في تعزيز السيادة الوطنية، وإقامة العراق لعلاقات متوازنة مع كل القوى الإقليمية والدولية، واسترجاعه لمكانته كفاعل إقليمي هام، غير أن هذه الغايات الجوهرية واجهت جملة من التحديات التي حالت دون تجسيدها، وأهمها تحول العراق إلى ساحة للتنافس بين العديد من القوى الإقليمية والدولية، بحكم أهميته الجيوسياسية والاستراتيجية والاقتصادية لتلك القوى المتنافسه، والتي سعت لرسم شكل الدولة العراقية الحديثة، والتأثير في قراراتها ومخرجاتها بما يوافق توجهاتها واستراتيجياتها.

ولعل أبرزها على الإطلاق، وأكثرها خطورة، التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، التي سعى كل منهما إلى تعظيم مكاسبها الاستراتيجية، وترسيخ نفوذها عبر عدد من الآليات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، على غرار دعم القوى السياسية المتعارضة، وتوفير الدعم والتمويل للفصائل المسلحة (كميليشيات الحشد الشعبي، والفصائل المسلحة الكردية والسنية وغيرها)، فضلا عن التواجد العسكري المباشر، والدعاية الإعلامية للترويج والدفاع عن سياسات ومواقف معينة.

غير أن تحصين العراق من هكذا تنافسات، ووقف التدخلات الأجنبية في الشأن العراقي الداخلي، شكل مطلباً أساسياً لكثير من القوى السياسية المحايدة، والحركات الاحتجاجية الشعبية التي عرفها العراق بشكل متكرر منذ سنة 2012، وذلك إدراكاً منها بالمخاطر السياسية والأمنية التي تترتب على تلك السياسات الأجنبية، وبقينا منها بأن الوحدة الوطنية، والاستقرار السياسي والأمني، واستعادة الدولة لقدرتها على توفير الخدمات الأساسية للمواطنين، وعودة العراق كفاعل إقليمي مركزي ومحيد رهين بعزله عن تلك الصراعات والتدخلات الخارجية.

وانطلاقاً من هذا، تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤل الآتي: إلى أي مدى يؤثر التنافس الإيراني-الأمريكي على الاستقرار السياسي والأمني في العراق؟ وكيف يمكن للعراق أن يتحرر من هذه الثنائية بما يخدم وحدته الوطنية، واستقراره السياسي، وعلاقاته الخارجية، ومكانته في المنطقة كفاعل مستقل ومركزي؟ وقد استندت هذه الورقة على عدد من الفرضيات، لتكون منطلقاً للإجابة على هذا التساؤل، وهي

كالتالي:

- كلما ضعفت مؤسسات الدولة وزادت الانقسامات السياسية فيها، وفقدت السلطة احتكارها المشروع لوسائل العنف، كلما زاد حجم التدخلات الأجنبية فيها.
- كلما زادت حدة التنافس الأجنبي في البلاد، كلما انعكس ذلك سلباً على أمنها واستقرارها ووحدتها السياسية والمجتمعية.
- تقل حدة وآثار التنافس الأجنبي على الدولة، بتنوعها لشركائها الإقليميين والدوليين، واسترجاعها لاحتكارها المشروع لوسائل العنف.

واعتماداً على المقاربة الجيوسياسية، واستناداً للأدوات المنهجية الوصفية والتحليلية، تم معالجة موضوع الدراسة هذا في ثلاث محاور أساسية، يقدم فيها الأول لمحة عن تطور العلاقات الإيرانية-الأمريكية، بغرض فهم أبعاد الصراع الحقيقي، وأهم نقاط الخلاف، ويركز المحور الثاني على ملامح وأبعاد التنافس الأمريكي-الإيراني داخل العراق، وأهم الوسائل بيد القوتين لتعزيز مصالحهما الاستراتيجية على حساب الأخرى، في حين يناقش المحور الثالث أهم التحديات التي يفرضها هذا التنافس على الاستقرار السياسي والأمني في العراق، وعلى الوحدة الوطنية.

2. لمحة عن تطور العلاقات الأمريكية-الإيرانية: أسباب الصراع

مثل نجاح الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979 منعطفاً جوهرياً في العلاقات الأمريكية-الإيرانية، فبعدما كان نظام الشاه الحليف الهام لواشنطن في منطقة الشرق الأوسط لوقف المد الشيوعي وحماية المصالح الغربية، صارت طهران تمثل "إمبراطورية الشر" يقودها نظام أيديولوجي معاد، يستخدم أساليب "راديكالية" لتحقيق الطموح الديني المتمثل في نشر مبادئ الثورة في الخارج، على غرار مبدأ ولاية الفقيه، ومن ثم تعزيز نفوذه في عمق إيران الاستراتيجي، أو "مجالها الحيوي".

وقد عزز هذا المنظور أزمة الرهائن الأمريكيين، التي استمرت 444 يوماً، وانتهت باتفاقية الجزائر في يناير 1981، والتي كوّنت نظرة الأمريكيين حيال إيران "الجديدة"، وسببت شرخاً كبيراً في العلاقات الثنائية التي تدهورت بشكل أكبر بعد دعم طهران لعمليات عسكرية وهجمات معادية للولايات المتحدة، نفذتها جماعات مسلحة مدعومة من الحرس الثوري، مثل تفجيرات بيروت في أكتوبر 1983 ضد القوات المتعددة الجنسيات في لبنان، وهو ما دفع إدارة الرئيس رونالد ريغن بتصنيف إيران كدولة راعية للإرهاب في جانفي 1984.¹ كما تبنت إدارة كلينتون سياسة "الإحتواء المزدوج" التي شملت كلا من العراق وإيران التي تنامي تأثيرها في منطقة الشرق الأوسط، الحيوية لواشنطن، من خلال شبكة العلاقات والدعم التي أقامتها مع قوى سياسية وفواعل مسلحة غير دولالية في الكثير من دول المنطقة، وهو ما سعت هذه السياسة لاحتوائه عبر فرض عقوبات إقتصادية وتجارية متنوعة على إيران.²

وفي نفس السياق، وضع الرئيس جورج بوش الابن في خطاب حالة الإتحاد سنة 2002 إيران ضمن ما سماه "محور الشر" بجانب كل من العراق وكوريا الشمالية، إذ اعتبر إيران "دولة مارقة" تسعى لإمتلاك السلاح النووي، وتهدد المصالح الأمريكية والأمريكيين في المنطقة والعالم،³ ومنذ ذلك الحين سعت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إلى إحتواء إيران وطموحاتها النووية، فضلاً عن محاولة الإطاحة بالنظام الحاكم في طهران، من خلال دعم المعارضة الإيرانية والناشطين الليبراليين الإيرانيين في الخارج، والحركات الإحتجاجية في الداخل، على غرار الحركة الخضراء الإيرانية سنوات 2009 و2010.

غير أن هذا العداء لم يمنع من التقارب المصلحي الظرفي بين البلدين، ففي خضم الحرب العراقية-الإيرانية وفرت الولايات المتحدة السلاح لإيران مقابل مساعدة الأخيرة على تحرير رهائن أمريكيين لدى حزب الله اللبناني، وتحويل الأموال لمقاتلي الكونترا في نيكاراغوا، وهذا ما عرف لاحقاً بفضيحة إيران-كونترا.⁴ وبعد تولي الإصلاحية محمد خاتمي للرئاسة في طهران سنة 1997 برزت بعض بوادر الإنفراج بين البلدين، نظراً لسياسته البرغماتية التي سعى من خلالها لكسر العزلة التي عاشتها إيران، وربط الجسور مع القوى الكبرى في العالم، ودعوته للاستفادة من مزايا الحضارة الغربية،⁵ كما أدت إيران دوراً هاماً في الإطاحة بنظام طالبان في أفغانستان سنة 2001، وتشكيل الحكومة الإنتقالية بعدها، من خلال دعمها لجماعات المعارضة كتتحالف الشمال،⁶ وذلك بحكم العداء بين النظامين.

وقد فضلت إدارة الرئيس أوباما الخيار الدبلوماسي في التعامل مع إيران، خاصة فيما تعلق ببرنامج إيران النووي، إذ بدأت المحادثات المباشرة بشكل سري في سلطنة عمان سنة 2009، والتي انتهت بالإتفاق النووي في جويلية 2015،⁷ والذي فرض قيوداً على البرنامج النووي الإيراني مقابل رفع عدد من العقوبات الاقتصادية على طهران، دون أن يؤدي ذلك إلى تطبيع شامل للعلاقات بين البلدين.

غير أن الرئيس دونالد ترامب فضل التعامل بشكل أكثر صرامة مع سياسات إيران المختلفة، حيث قام بالإنسحاب من الإتفاق النووي في ماي 2018، وهو ما أيدته الكثير من دول الشرق الأوسط على غرار السعودية والإمارات وإسرائيل لأنه لا يعالج القضايا الجدلية الأخرى كبرنامج الصواريخ الباليستية، ودعمها العسكري للعديد الميليشيات في دول الشرق الأوسط كالعراق واليمن وسوريا ولبنان، إلى جانب حقيقة أن الإتفاق يسرح أموال مجمدة لطهران قد توظيفها لزيادة قدراتها العسكرية ودعم وكلائها، وهو ما يشكل مصدراً لعدم الاستقرار في هذه الدول. وقام الرئيس ترامب أيضاً بتبني سياسة "الضغوط القصوى" (Maximum Pressure)، وتصنيف الحرس الثوري الإيراني كمنظمة إرهابية،⁸ وكل هذا من أجل دفع إيران لتقديم تنازلات جوهرية لواشنطن، أو الدفع بتغييرات داخلية تؤدي في النهاية لسقوط نظام الملالي.

ويفضل بعض المسؤولين الأمريكيين وبعض الدول في الشرق الأوسط الخيار العسكري ضد إيران، بالرغم من المخاطر الشديدة التي قد تترتب عليه، سواء على أمن هذه الدول أو الأمن الإقليمي والدولي ككل، نظراً لاستناد طهران على شبكة من الوكلاء المنتشرين في عدد من الدول العربية، ونفوذها الأيديولوجي على المجتمعات الشيعية في تلك الدول، فضلاً عن قدرتها على غلق مضيق هرمز ووقف الملاحة البحرية عبره مما ينعكس على أمن الطاقة العالمي.

أما من منظور الإيرانيين، تمثل الولايات المتحدة "الشیطان الأكبر الساعي لاجتثاث الإسلام"، و"المحتل الذي يخدم المصالح الإمبريالية" على حساب دول المنطقة من خلال دعمه اللامشروط لإسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني، وتدخلاته العسكرية المتكررة في المنطقة، وسعيه لاسقاط النظام في طهران من خلال دعمه

للحركات الإيرانية المعارضة في الداخل والخارج، و"التآمر" على حلفاء طهران، وكل هذا عززته سياسات واشنطن التاريخية التي رسمت صورة أمريكا والغرب في أذهان الإيرانيين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تديرها لإنقلاب الجنرال زهيدي على حكومة مصدق سنة 1953 بعد تأميمه لصناعة النفط في إيران، ومساندتها لسياسات الشاه الاستبدادية والموالية للغرب،⁹ إضافة إلى دعمها العسكري والدبلوماسي للعراق في حرب 1980-1988.

وبناء على ما سبق تعزى الشروخ الكبيرة في العلاقات الأمريكية-الإيرانية إلى جملة من النقاط الخلافية، والمتمثلة في برنامج إيران النووي، الذي تسعى الولايات المتحدة إلى وقفه بكل السبل، ولو بالقوة العسكرية، نظراً لتداعياته الكامنة والمحتملة على الأمن والاستقرار الإقليمي والدولي، إضافة إلى برنامج تطوير الصواريخ الباليستية المهدد لحلفاء واشنطن في الشرق الأوسط، وكذلك دعم إيران للكثير من الجماعات المسلحة في دول الجوار، والمتسببة في الكثير من الإنقسامات الطائفية والاجتماعية في تلك، وكل هذه تفاقمه الاختلافات الأيديولوجية الجوهرية بين طهران وواشنطن التي تسعى لتغيير النظام الإيراني المحافظ إلى آخر ليبرالي منفتح على الغرب، أو الذي لا يهدد مصالح الغرب وحلفائه في الشرق الأوسط.

3. أبعاد التنافس الأمريكي-الإيراني في العراق ووسائله:

تمثل إيران محورا جيوسياسيا واستراتيجيا في منطقة الشرق الأوسط والمستمد من موقعها الجغرافي الغني بالموارد الطبيعية الحيوية، والهام سواء كرابط تجاري بري أو المهيمن على الشريط الساحل الشرقي للخليج ومضيق هرمز، والقريب من مناطق التوتر والصراع، علاوة على قيمتها الرمزية كمهد للحضارة الفارسية ومعقل للتشيع، وهو ما يجعلها تسعى لأن تكون فاعلا سياسيا واقتصاديا وثقافيا في نظام إقليمي شامل (Inclusive) يعزز أمنها القومي ومكانتها الدولية، إلا أنها ترى نفسها تعيش في محيط معاد، في نظام إقليمي مهيمن عليه من طرف الولايات المتحدة التي لن تعترف بمكانة طهران ودورها في الإقليم مالم تساير السياسات والترتيبات الأمنية الأمريكية، وهذا ما يجعل التنافس والصدام بين البلدين حتميا وواردا.

ولذلك يعتقد البعض - وأكد على ذلك وزير خارجية إيران الأسبق جواد ظريف - أن مبدأ طهران في سياستها الخارجية والدفاعية هو "الأمن للجميع، أو لا لأحد" (Security for all or for none) و"عدم استقرار طهران يعني عدم استقرار المنطقة ككل" (Insecurity for Iran, insecurity for the entire region).¹⁰ ولأن إيران تفتقد للقدرات الاقتصادية والعسكرية التي تمكنها من مواجهة واشنطن بشكل مباشر، جعلها تسلك سبلا غير تماثلية في تنافسها القائم في عدد من دول في المنطقة، ولعل أبرز هذه الدول هي العراق الذي أصبح ساحة للتنافس بين مختلف القوى الإقليمية والدولية، الأمر الذي انعكس بشكل كبير على استقراره السياسي والأمني.

1.3 مكانة العراق في السياسة الخارجية والدفاعية الإيرانية: الأهمية، الأهداف، والأدوات:

يمثل العراق عمقا استراتيجيا هاما لإيران، فالأهمية الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية للعراق، جعلت طهران تسعى لأن تكون لاعبا مركزيا في الديناميكيات السياسية والأمنية الداخلية منذ سقوط نظام البعث الإشتراكي في بغداد في مارس 2003، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن الغزو الأمريكي سنة 2003 منح طهران فرصة لا مثيل لها في تعزيز نفوذها في بغداد لأنه خلق فراغا سلطويا وأمنيا ملأته قوى سياسية وفواعل مسلحة غير دولانية شيعية مرتبطة بشكل وثيق بالنخب السياسية والعسكرية والدينية في طهران.

ويمكن حصر الأهداف الجوهرية لطهران في العراق كالآتي:

- **الحيلولة دون عودة العراق كبلد معاد لإيران:** تربط إيران بالعراق حدود طويلة تقدر ب 1458 كم، ما يجعل أي عداء بين البلدين مصدر تهديد كبير لطهران،¹¹ ويبرر ذلك العداء التاريخي بين البلدين الذي سببته الخلافات الأيديولوجية، والمشاكل الحدودية، والسياسات العدائية كدعم المتبادل للمعارضين على غرار الأكراد، والتي كانت سببا في حرب دموية دامت لأكثر من ثماني سنوات، ولا يضمن تجدد العداء بين البلدين إلا بقاء سيطرة النخبة السياسية الشيعية على مقاليد الحكم في البلاد، وتعزيز الأيديولوجية الشيعية، ومنع قيام نظام سني مدعوم من الدول العربية السنية.
- **جعل العراق منطقة عازلة (Buffer Zone):** بحيث لا يكون العراق منصة أو قاعدة لضرب الأراضي الإيرانية في حالة إندلاع أي حرب بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية أو الدول العربية المعادية لها، وهذا ما يفسر إصرار المسؤولين العراقيين على إدراج هذه النقطة في الإتفاقيات الأمنية والعسكرية مع واشنطن، ناهيك عن مطالبهم المتكررة، سواء من قبل الوزراء أو البرلمانين أو المسؤولين العسكريين، بإنهاء التواجد الأمريكي في العراق، وسحب كل الفرق المقاتلة، وقد كانت هذه النقطة جوهر الحوار الاستراتيجي العراقي- الأمريكي في جولاته الأربعة منذ جوان 2020.¹²
- **التحايل على العقوبات الاقتصادية الدولية على إيران:** يوفر العراق لإيران مخرجا للإلتفاف على العقوبات الاقتصادية والتجارية الدولية عليها والمتعلقة ببرنامجها النووي، أو سياساتها الداخلية المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان، أو سياساتها في الشرق الأوسط، والتي أدت لإنكماش الإقتصاد العراقي بأكثر من 70 بالمئة. فالعراق صار سوقا لتصريف مختلف المنتجات الإيرانية، سواء الطاقوية منها كالغاز والكهرباء ومشتقات النفط أو غير الطاقوية كمواد البناء، والمواد الزراعية والألبسة والسجاد ونحوها، وقد تعدت حجم الصادرات الإيرانية للعراق 12 مليار دولار ما جعلها أكبر شريك تجاري للعراق،¹³ وبعد فرض الرئيس الأمريكي السابق دونالد

ترامب لعقوبات جديدة على قطاع الطاقة في طهران والمتعاملين معها، طلب العراق الحصول على إعفاءات نظرا لتبعيةها للغاز والكهرباء الإيرانيين.

- **استهداف المعارضة الإيرانية في العراق:** كان أحد أبرز أهداف السياسة الإيرانية في العراق في أعقاب الغزو الأمريكي هو استهداف عناصر المعارضة الإيرانية التي اتخذت من الأراضي العراقية معقلا لها في عهد النظام السابق، وأهمها حركة مجاهدي خلق التي استضافها صدام حسين في العراق سنة 1987، غير أن سلطة الإحتلال الأمريكي طالبت عناصرها بالتمركز في معسكر أشرف، ومنحتهم صفة "الأشخاص المحميين" وفق معاهدة جنيف الرابعة، بعدما قرر مجلس الحكم العراقي طردهم من العراق وإغلاق مقراتهم، وفي سنة 2009 أعطت مسؤولية حمايتهم للحكومة العراقية، ولكن بعد تعرضهم لهجمات من قبل الميليشيات الشيعية الموالية لطهران في 2009 و 2011 و 2013 وأدت لمقتل العشرات منهم، تم إعادة توطينهم في معسكر الحرية قرب مطار بغداد كإجراء مؤقت لبدء إجلائهم من العراق تحت ضغط من النظام الإيراني، وهو ما كان في 2016 أين تم مغادرة أغلبهم لجمهورية ألبانيا ودول أوروبية أخرى.¹⁴
- **ربط إيران بسوريا برياً:** إن تنامي الدور الإيراني في سوريا بعد إندلاع الحرب الأهلية فيها سنة 2011 خلق الحاجة لطريق بري مباشر بين طهران ودمشق، يمر عبر العراق، حتى يتمكن الحرس الثوري الإيراني من تزويد الميليشيات الشيعية المقاتلة في سوريا بجانب قوات الأسد بالأسلحة والدعم اللوجستي، ولا يمكن تحقيق ذلك إلى عراق موال لسياسات طهران في المنطقة، وهذا ما يفسر سيطرة بعض ميليشيات الحشد الشعبي في العراق على عدة مناطق حدودية بين العراق وسوريا بعد تحريرها من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش".¹⁵ وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف تبنت السلطة في طهران جملة من الآليات، سواء على المستوى السياسي أو العسكري أو الإقتصادي، ومكنها من ذلك حالة الفوضى والفراغ الذي صاحب الإحتلال الأمريكي، ولعل أبرزها ما يلي:
- **دعم وتوحيد القوى السياسية الشيعية:** عملت طهران بعد الغزو الأمريكي لعام 2003 على جمع وتوحيد الفصائل السياسية الشيعية، التي أخذت من المنفى الإيراني منذ ثمانينيات القرن الماضي معقلا لها، على غرار حزب الدعوة والفضيلة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وغيرها، وذلك بغية ترجمة ثقلها الديمغرافي إلى نفوذ سياسي في بغداد، ورسم معالم الدولة العراقية الجديدة ذات المرجعية الشيعية، مستنديين في ذلك إلى سرديّة الضحية، فقد شجعتهم على الدخول ككتلة موحدة في إنتخابات 2005 النيابية، وهي "كتلة الإئتلاف الوطني الموحد" التي حققت أغلبية المقاعد، ومكنها من صياغة الدستور العراقي بالفهم مع القوى الكردية.

وعملت أيضا على تسوية الخلافات البينية بين هذه القوى، كي تحافظ على ثقلها السياسي، كتلك الترتيبات السياسية التي مكنت نوري المالكي من البقاء كرئيس للوزراء لفترة ثانية على حساب قائمة العراقية بقيادة إياد علاوي بعد إنتخابات 2010،¹⁶ أو تسوية الخلافات بين التيار الصدري والأحزاب السياسية المحسوبة على الحشد الشعبي في إنتخابات 2018، أو المحاولات الراهنة التي يقودها القائد في فيلق القدس إسماعيل قاني (خليفة قاسم سليمان) لرص الصف بين الإطار التنسيق والتيار الصدري الذي أقام تحالفت مع كتل سنية وكردية بعد انتخابات أكتوبر 2021 لتشكيل حكومة أغلبية لأول مرة بعيدا عن مبدأ التوافق الذي ساد في النظام السياسي العراقي منذ 2003،¹⁷ وهو ما يهدد هيمنة الجماعات الشيعية على الحكم في البلاد.

● **دعم الميليشيات الشيعية:** الحرب غير النظامية عبر دعم وتمويل وتسليح الفصائل الشيعية المسلحة استراتيجية مركزية في سياسة إيران الإقليمية، حيث تستند طهران على شبكة واسعة من الميليشيات الناشطة في عدة دول عربية كسوريا واليمن ولبنان والعراق، من أجل توسيع نفوذها الخارجي، ففي العراق ساهمت قوات القدس بتشكيل فيلق بدر في ثمانينيات القرن الماضي لإسقاط نظام صدام حسين، ووفرت مختلف الدعم لها وغيرها من الميليشيات كجيش المهدي والفصائل المنشقة عنه كعصائب أهل الحق، والتي كانت أهم الفواعل في الحرب الطائفية التي عاشها العراق سنوات 2006-2008، وقد مكنتها من ذلك حالة الفوضى السائدة والحدود المفتوحة بين البلدين.¹⁸

وقد دفعت إيران هذه الميليشيات للقتال بجانب نظام بشار الأسد في سوريا، بتنسيق وتدريب من حزب الله اللبناني بعد اندلاع الحرب الأهلية فيها، وذلك بحجة الجهاد المقدس لحماية مرقد السيدة زينب في دمشق،¹⁹ أما سقوط الموصل في يد تنظيم الدولة الإسلامية التي سيطرة على مساحات شاسعة من العراق شكلت مبرا ودافعا مقبولا لتوسيع نشاطات الفصائل المسلحة الشيعية في المشهد الأمني العراقي، والتي قاتلت بجانب القوات الأمنية العراقية لتحرير تلك المناطق من تنظيم الدولة، وهو ما استندت إليه كمصدر للشرعية ومبررا لوجودها وبقاتها في ظل عجز القوات النظامية على أداء مهامها.

وكانت كل عملياتها العسكرية المتعددة تحت إشراف وتوجيه من قوات القدس الإيرانية بقيادة الجنرال قاسم سليمان بالتعاون مع المستشارين العسكريين الإيرانيين، فصعود "داعش" منح إيران فرصة جوهريّة لتعزيز وجودها العسكري في العراق، وقد أثنى الكثير من قادة هذه الميليشيات بل وحتى المسؤولين الحكوميين على الدعم الإيراني، فعلى سبيل المثال ذكر أبو مهدي المهندس، قائد هيئة الحشد الشعبي أنه: " ليس سرا أننا تلقينا نصائح وتوجيهات من القيادة الإيرانية، أو أن قوات الحشد الشعبي تلقت دعما ماديا من طهران... فبدون الدعم الإيراني لم نكن لنحقق تلك النجاحات العسكرية ضد داعش".²⁰

● **تفعيل مصادر القوة الناعمة:** سعت طهران إلى كسب قلوب وعقول (Hearts and Minds) المجتمع الشيعي في العراق، وذلك بغية تشكيل رأي عام عراقي يؤيد أو على الأقل لا يعارض السياسات الإيرانية حيال بلادهم، وذلك عبر وسائل الإعلام الإيرانية الناطقة بالعربية والتي تروج للسرديات الإيرانية، ومساهمة طهران في عملية إعادة بناء العراق، إضافة إلى تبادل طلاب العلم الشرعي ورجال الدين بين قم والنجف، ومحاول طهران التأثير على المؤسسة الدينية في النجف من خلال المناورة لضمان أن يكون خليفة المرجعية العراقية آية الله علي السيستاني من الموالين لطهران والمؤمنين بولاية الفقيه،²¹ وذلك لربط العراق روحياً بإيران، وضمان سيادة نموذج إيران الديني (الإمامي الإثني عشري).

وكل هذه الآليات منحت طهران دوراً حاسماً في المعادلة الداخلية العراقية، إذ صارت تسهم، وبدون مبالغة، في صنع الكثير من القرارات السياسية والأمنية التي تمس مصالح إيران في العراق، وتمتلك القدرة على تعطيل أي سياسات أو برامج تتجاوز المصلحة الإيرانية أو تناقضها، كضغوطها على الكتل السياسية في البرلمان العراقي لتبني مشروع يقضي بإلغاء التواجد الأمريكي في العراق.

غير أن السياسة الإيرانية في العراق واجهت جملة من التحديات، ليس أقلها الرفض الشعبي المتزايد لتدخلاتها في الشؤون الداخلية العراقية، حتى لدى المجتمع الشيعي في المحافظات الجنوبية، وقد ظهر ذلك جلياً في الشعائر المعادية للنظام الإيراني في مختلف الحملات الاحتجاجية في مختلف المحافظات، على غرار "إيران... برا... برا"، فضلاً عن معارضتهم الشديدة لاستمرار نشاط ميليشيات الحشد الشعبي ككيان موازي للقوات الأمنية العراقية، ومطالبتهم المتكررة بحصر السلاح بيد الدولة، خاصة بعد القمع والإغتيالات التي مارستها في حق المحتجين والمتظاهرين سنة 2019، وقد كان هذا عاملاً لتشتيت "البيت" الشيعي وإنقسامه، ولعل آخرها تلك الإنقسامات بين التيار الصدري والإطار التنسيقي الشيعي منذ إنتخابات جانفي 2021 وإعلان الزعيم الشيعي مقتدى الصدر عن عزمه لنزع أسلحة الميليشيات وتفكيكها بعد فوزه في الإنتخابات البرلمانية.²² ولكن يبقى التواجد الأمريكي في بغداد، المباشر وغير المباشر، أهم حائل أمام هيمنة إيرانية مطلقة على الشأن العراقي الداخلي، ولذلك عملت طهران على تقليل دور واشنطن ووجودها العسكري في العراق.

2.3 السياسة الأمريكية في العراق: مصادر النفوذ والتأثير

ساهم الغزو الأمريكي وسلطة التحالف الدولي المؤقتة في تشكيل البنية السياسية والأمنية العراقية الراهنة، من خلال مجموعة من السياسات، مثل حل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية التابعة له، وتشكيل نواة جيش جديد، واجتثاث حزب البعث، وتشكيل مجلس حكم يقوم على المحاصصة الطائفية، وغيرها، مما خلق فراغاً أمنياً وسلطوياً في البلاد كان عاملاً هاماً في تفسير الكثير من المشاكل السياسية والأمنية التي عاشها العراق بعد 2003، على غرار انتشار الجماعات المسلحة بمختلف أشكالها الإرهابية، والتمردية، والميليشيات، والجماعات

الإجرامية، وانقسام المجتمع على أسس طائفية وعرقية الذي أدى لاندلاع الحرب الطائفية سنوات 2006-2008، والأزمات السياسية المتكررة، وعجز الدولة العراقية الناشئة على أداء مهامها الاقتصادية والاجتماعية في توفير الخدمات الأساسية للمواطنين، دون اغفال تنامي دور القوى الأجنبية في العراق، وعلى رأسها الدور الإيراني. وفسرت الإدارة الأمريكية كل هذه المشاكل إلى عدم امتلاك الاحتلال الأمريكي لخطة إعادة بناء الدولة، حيث انحصر هدف الغزو في اسقاط نظام البعث في بغداد.

وعلاقة العراق بالولايات المتحدة نظمتها إتفاقيتين اثنتين أبرمتا سنة 2008، ففي حين تتعلق الأولى، وهي إتفاقية الإطار الاستراتيجي (SFA)، بالعلاقات الثنائية المتعددة ومبادئ المنظمة، وأهدافها كدعم المؤسسات الديمقراطية والرفاه الاجتماعي وحقوق الإنساني، وتعزيز التبادلات الثقافية، والتجارة الثنائية، ومسار التنمية في البلاد ونحوها، تتعلق الثانية، وهي إتفاقية وضع القوات الأمريكية (SOFA)، بالجانب الأمني والعسكري للعلاقات، حيث حددت قواعد عمل القوات الأمريكية ومهامها في العراق كتدريب وتسليح القوات الأمنية العراقية، والمساهمة في مواجهة التمرد المسلح والإرهاب وبقايا النظام السابق، بالإضافة إلى تحديدها مدة بقائها في العراق إلى غاية نهاية عام 2011.²³

وبالرغم من إعلان الولايات المتحدة عن انسحاب جل قواتها القتالية من العراق وإنهاء الإحتلال في ديسمبر 2011، بقيت بعض الفرق العسكرية ذات المهام الإستشارية، والمخولة بتدريب الجيش العراقي وقوات الشرطة الإتحادية، وقوات البيشمركة الكردية، إلا أن اختيار هذه القوات الأمنية أمام مقاتلي داعش في جوان 2014، مثل سببا مباشرا لإدارة الرئيس أوباما لتعزيز تواجدتها العسكري في العراق بهدف "إلحاق الهزيمة" بتنظيم الدولة الإسلامية، وذلك في إطار تحالف دولي جديد ضم أكثر من ستين دولة، والذي دعم الحملة العسكرية التي أطلقها رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي لاستعادة الأراضي التي سيطر عليها التنظيم في شمال وغرب البلاد، وذلك بالاستعانة بالقوات النظامية العراقية وشبكة واسعة من الميليشيات الشيعية والقبلية التي انضوت تحت إسم الحشد الشعبي.

ولكن عدد القوات الأمريكية تراجع تدريجيا بعد هزيمة قوات داعش، بسبب المطالب الداخلية المتنامية لإنهاء التواجد الأمريكي، خاصة من قبل القوى السياسية الشيعية المدعومة إيرانيا، وهو ما تم الإتفاق عليه في الحوار الاستراتيجي المذكور آنفا،²⁴ وذلك بالرغم من تفضيل بعض الفواعل السياسية والأمنية بقاء تلك القوات، على غرار بعض العشائر السنية، والكردية والتركمانية، لأن هذه القوات الأجنبية تمثل-بنظرهم-الموازن لنفوذ ميليشيات الحشد الشيعية التي تورطت في جرائم طائفية، وانتهاكات صارخة لحقوق المجتمع السني بحجة أنه وفر حاضنة لإرهاب تنظيم الدولة الإسلامية، الذي اتخذ من "حماية أهل السنة" مبررا لوجوده وتمدده في كل من سوريا والعراق.

غير أن التواجد العسكري المباشر ليس مصدر النفوذ والتأثير الوحيد لواشنطن في العراق، سواء لتحقيق مصالحها الوطنية الحيوية، أو إحتواء إيران، فقد دأبت الإدارات الأمريكية لدعم وتمويل وتدريب بعض القوى النظامية وغير النظامية على غرار جهاز مكافحة الإرهاب، وقوات البشمركة الكردية منذ عام 2003 والتي تتلقى تدريباً ودعمًا ماليًا سنويًا لغاية اليوم من واشنطن، وبعض القوى العشائرية السننية،²⁵ على غرار مجالس الصحوات لمحاربة تنظيم القاعدة في العراق (AQI) الذي تزايدت نشاطاته في المحافظات العراقية السننية في غرب وشمال البلاد سنوات 2007 و2008، وكذلك بعض ميليشيات الحرس الوطني (السننية) في نينوى والأنبار لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية في المناطق السننية، وبلغت الأرقام، وافق الكونغرس الأمريكي على ما قيمته 7.4 مليار دولار من برامج التدريب والتسليح للقوات العراقية النظامية وشبه النظامية (القوات الكردية، وجهاز مكافحة الإرهاب) منذ سنة 2014.²⁶

أما سياسياً، فواشنطن ساندت بعض الشخصيات والكتل السياسية المعتدلة و العلمانية غير الموالية لطهران، على غرار قائمة العراقية بقيادة إياد علاوي في إنتخابات 2010 النيابية، أو دعمها المتواصل للأحزاب الكردية، أو رئيس الوزراء الحالي مصطفى الكاظمي، المنفتح على الغرب والدول العربية كمصر والأردن ومجلس التعاون الخليجي، والذي سعى لإحتواء ميليشيات الحشد الشعبي وحصر السلاح بيد الدولة، مما جعل تلك الميليشيات تصفه بالعمالة لواشنطن والرضوخ لمطالبها،²⁷ كما يمارس المسؤولون الأمريكيون الضغط المستمر على القادة العراقيين من أجل وضع تلك الميليشيات تحت سيطرة الدولة، ونزع سلاحها، ومنع أن يكون العراق ممراً برياً لنقل السلاح الإيراني إلى سوريا،²⁸ خاصة بعد زيادة الهجمات التي استهدفت مناطق تواجد القوات الأمريكية أو المصالح الأجنبية.

كما ساندت الإدارة الأمريكية مساعي العراق لإعادة إدماجه في المنطقة، من خلال تقوية روابطه الدبلوماسية والاقتصادية وتسوية خلافاته مع دول مجلس التعاون الخليجي، عبر إعادة فتح سفارات تلك الدول في بغداد ورفع التمثيل الدبلوماسي بها، واستضافة بغداد لعدد من المؤتمرات، كقمة جامعة الدول العربية سنة 2012، وقمة بغداد للشراكة والتعاون سنة 2021، ومشاركتها في عدة مؤتمرات ومبادرات إقليمية ودولية كقمة جدة للأمن والتنمية في جويلية 2022، وكل هذا لتمكين العراق من استعادة مكانته الإقليمية، تقليل نفوذ طهران السياسي من خلال تنويع شركائه الإقليميين السياسيين والاقتصاديين على حد سواء.²⁹

فبشكل عام يقوم التنافس بين إيران والولايات المتحدة على إعادة تشكيل البنية السياسية والأمنية للعراق، ورسم توجهات الدولة العراقية وقراراتها بما يخدم أجندات واستراتيجيات هاتين الدولتين، وقد تنامي نفوذ إيران بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق في ديسمبر 2011، وتعزز بشكل أكبر بصعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وسيطرته على مساحات واسعة في كل من العراق وسوريا، وهو ما برر دوراً عسكرياً نشطاً لطهران، في حين شكل ذلك حجة للولايات المتحدة لإعادة قواتها القتالية لبغداد، وتشكيل تحالف دولي لمحاربة التنظيم،

وهذا ما زاد من حدة التوتر والتنافس بالوكالة بين البلدين من خلال دعم فواعل محليين ذوي أهداف متضاربة، وقد وصلت التوترات لحد الصدام المباشر، بعد استهداف ميليشيات الحشد الشعبي في الكثير من المرات لمعسكرات تضم الجنود الأمريكيين، أو المصالح الأجنبية في العراق، واستهداف الجيش الأمريكي لقائد فيلق القدس قاسم سليمان وقائد لجنة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس، ما شكل سببا للتصعيد وتعهد إيران ووكلائها بالانتقام. ويمكن تلخيص كل أبعاد التنافس هذه بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران ووسائله في الجدول التالي.

الشكل رقم (01): أبعاد التنافس الأمريكي-الإيراني في العراق ووسائله

الولايات المتحدة الأمريكية		إيران		أبعاد التنافس
الوسائل	الأهداف	الوسائل	الأهداف	الأهداف/الوسائل
*التواجد العسكري المباشر. *دعم وتدريب الفصائل المسلحة الكردية وبعض العشائر السنية. *العمليات العسكرية (غارات جوية، طائرات بدون طيار، عمليات استخباراتية)	*عراق محايد بعيد عن المغامرات العسكرية الإقليمية. *تواجد عسكري دائم. *مواجهة الجماعات المسلحة المعادية.	*دعم ميليشيات الحشد الشعبي الموالية. *الضغط لإنهاء التواجد العسكري الأمريكي	*جعل العراق منطقة عازلة (Buffer zone) *تشكيل شبكة من القوات شبه-العسكرية للدعم والاسناد لأغراض عسكرية إقليمية. *ربط سوريا بإيران بطرق برية للإمداد العسكري.	البعد الأمني والعسكري
*دعم القوى السياسية الليبرالية والكردية. *دعم إعادة إدماج العراق في محيطه الإقليمي، وتنويع شركائه الدبلوماسيين. *الضغوط الدبلوماسية على المسؤولية العراقيةين.	*إدماج العراق في النظام الإقليمي والمساير للتوجهات الأمريكية. *تحقيق توازنات سياسية داخلية في إطار ديمقراطي ليبرالي.	*دعم رجال الدين الموالين للمرشد الأعلى في طهران. *دعم وتوحيد الكتل السياسية الشيعية. *الدعاية الإعلامية (كمصدر للقوة الناعمة)	*عراق حليف وغير معاد. *هيمنة المجتمع الشيعي على نظام الحكم.	البعد السياسي
*تشجيع الاستثمارات الأمريكية في العراق. *تشجيع الروابط الاقتصادية بين العراق والبلدان المجاورة (في	* فرص استثمارية (خاصة في مجال الطاقة) * حرمان طهران من مجال للتحويل	*تعزيز الروابط الاقتصادية، والاستثمارات.	*التحرر من العزلة الاقتصادية والتحايل على العقوبات.	البعد الاقتصادي

مجال الغاز والكهرباء والمياه)	على العقوبات. * إصلاحات إقتصادية ليبرالية.			
-------------------------------	--	--	--	--

ويندرج هذا التنافس ضمن مسار إقليمي أوسع تقوده الولايات المتحدة الأمريكية لإحتواء إيران من خلال حزم العقوبات الواسعة لإضعاف طهران إقتصاديا، من أجل خلق مشاكل اجتماعية وسياسية داخلية تقود بنظام الملاي إلى تقديم تنازلات جوهرية تتعلق ببرنامجها النووي، وطبيعة نظامها السياسي، وسياستها تجاه المنطقة، إضافة إلى ترتيبات دبلوماسية وأمنية إقليمية تصب في نفس السياق لإحتواء إيران، وما مسار التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية، أو ما عرف باتفاقيات أبرهام، إلا والخوف المشترك من سياسات طهران وعدائها من طرف إسرائيل وتلك الدول العربية دافعا محوريا له، إضافة إلى زيادة نشر أنظمتها الدفاعية ووجودها العسكري المباشر على أراضي حلفائها، من أجل ردع أي عملية عسكرية إيرانية ضدهم. وفي الوقت ذاته، تسعى إيران لأن تستعيد مكانتها كقوة معتبرة ضمن الترتيبات الإقليمية الشرق أوسطية، من خلال ضمان هيمنة حلفائها السياسيين على أنظمة الحكم في البلدان المجاورة، وتوثيق روابطها مع الأقليات الشيعية في المنطقة، وكذلك الإستعانة بالمليشيات الشيعية في إطار حروب بالوكالة لتكريس نفوذها وتعزيز أيديولوجيتها الدينية.

4. أثر التنافس الأمريكي-الإيراني على الاستقرار السياسي والأمني في العراق

وجد العراق نفسه ساحة للتنافس والصدام بين أكبر شركائه الدوليين، إيران والولايات المتحدة، والذي انعكس بشكل سلبي على الاستقرار السياسي والأمني في البلاد، نظرا للتأثير الكبير الذي تمارسه هاتين القوتين في النظام السياسي العراقي، ولذلك سعى القادة العراقيون إلى الخروج من هذه الثنائية، وإقامة علاقات متوازنة مع كل القوى الدولية، غير أن سعيهم هذا واجه جملة من التحديات، ليس أقلها إنقسام القوى السياسية العراقية الفاعلة بين تلك الموالية لطهران، والداعية لتوطيد العلاقات معها، ولو على حساب المصلحة العراقية، والأخرى الساعية لتقليل التدخلات الإيرانية ونفوذها في البلاد، من خلال علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة والقوى الإقليمية الأخرى كتركيا ودول مجلس التعاون الخليجي، والحفاظ على التواجد العسكري الدولي لموازنة تنامي قوة ميليشيات الحشد الشعبي وتأثيرها في صناعة القرار السياسي الوطني، وهذا ما جعل الحكومات العراقية في ضغط متواصل للتوفيق بين توجهات مختلف القوى الفاعلة.

ولكن يبقى تحصين العراق من هكذا تنافسات هاما وحاسما لتحقيق الاستقرار السياسي والأمني في البلاد، والحفاظ على وحدتها وسلامتها الترابية، واسترجاع مكانتها الإقليمية، لأن استمرار هذا التنافس يحمل تحديات خطيرة على الأمن الوطني العراقي بأبعاده المختلفة، ولعل أبرز هذه التحديات ما يلي:

1.4 خطر التصعيد والمواجهة العسكرية المباشرة بين إيران والولايات المتحدة:

إن أي مواجهة عسكرية مباشرة بين إيران والولايات المتحدة، سيكون العراق حتما ساحة لها، وذلك بسبب التواجد العسكري الأمريكي في البلاد، وحتمية انخراط الميليشيات الشيعية الموالية ل طهران فيها، ففي هذا السياق، ذكر الزعيم الشيعي مقتدى الصدر أن: "نهاية العراق تكون حال نشوب الحرب بين إيران وأمريكا، ولذلك أرفض زج بلادنا فيها وجعلها ساحة للصراع، فنحن بحاجة إلى وقفة جادة مع كبار القوم لإبعاد العراق عن تلك الحرب الضروس."³⁰

ونشوب مواجهة عسكرية مباشرة، ولو محدودة، بين إيران والقوات الأمريكية ليست بغير المتصورة، بل هي جد ممكنة، ولذلك عدة شواهد، لعل أهمها على الإطلاق الغارات الجوية التي نفذتها القوات الأمريكية على مواقع ميليشيات الحشد الشعبي الشيعية التي استهدفت مواقع تواجد الجنود الأمريكيين، أو السفارة الأمريكية في المنطقة الخضراء، أو حقول نفط تتواجد فيها شركات أمريكية ودولية، ناهيك عن تهديد قادة هذه الميليشيات للولايات المتحدة بالانتقام لقتل الأخيرة للجنرال الإيراني قاسم سليماني وقائد الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس في بغداد في جانفي 2020،³¹ ودفعها للضغط على الحكومة العراقية لإنهاء التواجد الأمريكي في البلاد،³² وهذا ما ينذر بتصعيد أكبر محتمل في حال لم تتمكن القيادة العراقية ضبط نشاطات ميليشيات الحشد الشعبي، خاصة وأن الإدارة الأمريكية اعتبرت أن كل عمل عدواني على المصالح الأمريكية من قبل تلك الفصائل المسلحة سيحسب على طهران.³³

2.4 تكريس الفساد والولاء الأجنبي على حساب المصلحة الوطنية العراقية:

أدت السياسات الأمريكية والإيرانية في العراق إلى تشكيل شبكة ولاءات أجنبية، كانت في كثير من الأحيان على حساب المصلحة العراقية، والتي ظهرت في سلوكيات وتصرفات تلك القوى الداخلية الفاعلة، فبعض القوى السياسية الشيعية أظهرت إمتنانها للدعم الإيراني المتواصل لها منذ الثمانينيات وإلى غاية الانتصار على تنظيم الدولة الإسلامية، حيث لا تعارض تلك القوى التدخلات الإيرانية في الشأن السياسي والأمني العراقي، بل تعتبره حميدا مساعدا على مواجهة تحديات العراق، بل ودعى البعض إلى تقديم تعويضات لإيران عن حرب 1980-1988.

أما الفصائل الشيعية المسلحة فأظهرت عدم رضوخها للقيادات العسكرية والأمنية العراقية أثناء الحرب على داعش، وارتباطها الوثيق بقوات الحرس الثوري التي كانت تعمل تحت إشراف من قائدها قاسم سليماني، وانخراطها في عمليات تخدم الاستراتيجية الإيرانية بالدرجة الأولى كالسيطرة على المناطق الحدودية مع سوريا، أو ذهابها للقتال في سوريا بجانب قوات الأسد بطلب وتشجيع من الحرس الثوري الإيراني سنة 2012، وهو ما أضر بعلاقات العراق الخارجية، خاصة مع الدول العربية السنية، بل وقام بعض زعماء هذه الفصائل المسلحة بتهديد الحكومة العراقية بشكل مباشر إذا ما خالفت توجهات إيران، وكمثال على ذلك ما قاله زعيم حركة النجباء، أكرم

الكعبي: "نحن نتبع أوامر المرشد الأعلى خامنئي، بما فيها اسقاط الحكومة العراقية، أو القتال بجانب الحوثيين في اليمن، إذا قال خامنئي أن ذلك واجب ديني."³⁴

3.4 كبح استعادة الدولة لاحتكارها المشروع لوسائل العنف:

يمثل احتكار الدولة المشروع لوسائل العنف، على حد تعبير ماكس فيبر (Max Weber) حجر الزاوية في تحقيق الأمن الداخلي، لأنه يسمح للدولة بفرض النظام العام دون مقاومة من الجماعات أو الأفراد، أما فقداها لذلك الحق المشروع يجعلها رهينة للابتزاز من قبل فصائل مسلحة تعمل على تعطيل وفساد أي سياسات وقرارات لا تخدم توجهاتها، أو تهدف لكسر نفوذها المالي والعسكري.

وهذه القاعدة تنطبق على العراق الذي حاول بعض قادته كرئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، ورئيس الوزراء الحالي مصطفى الكاظمي حصر السلاح بيد الدولة، وتفكيك الفصائل المسلحة، وإعادة ادماجها في المجتمع، بسبب رفض رضوخها لقرارات السلطة الحاكمة، وتورطها في جرائم طائفية، واستهدافها لمصالح أجنبية، وتورطها في قمع واغتيال المتظاهرين،³⁵ إلا أن محاولاتهم تلك فشلت بسبب نفوذ تلك الفصائل المتنامية بسبب المخصصات المالية الحكومية الكبيرة (2.7 مليار دولار سنويا)، والدعم العسكري الإيراني، ومدخيل نقاط التفتيش والمعابر الحدودية وغيرها، ما جعلهم يواجهون كل محاولات تهدد وجودهم ومصادر ثرائهم ومكانتهم، ولذلك فهم يعتبرون كل تلك المحاولات مجرد رضوخ لمطالب واشنطن والغرب بتقييد نشاطاتهم، كما ترفض أجنحتها السياسية في البرلمان العراقي أي مرشح يسعى لذلك، ومن ثم إفشال كل محاولات استعادة الدولة لاحتكارها المشروع لوسائل العنف.

4.4 إدامة حالة الانقسام السياسي والاجتماعي في البلاد:

غالبا ما تنعكس التنافسات الدولية على الديناميكيات السياسية الداخلية، فتكون سببا للاستقطاب، وعاملا من عوامل الأزمات السياسية والاجتماعية، فالأزمات السياسية المتكررة في العراق، يرجع أحد عواملها إلى ذلك الانقسام بين القوى السياسية المدعومة من إيران، والأخرى المدفوعة بتقليل دور طهران من خلال علاقات وثيقة مع واشنطن، وهو ما يؤدي غالبا إلى تعطل المسار السياسي لأشهر طويلة لاختيار رئيس الوزراء وحكومته، ولا تتم في الغالب إلا بتوافقات سياسية بين تلك القوى، تؤدي فيها إيران والولايات المتحدة الدور الحاسم، وقد كان هذا جليا في اختيار المالكي لولاية ثانية لرئاسة الوزراء بعد انتخابات 2010، أو اختيار حيدر العبادي في 2014، أو مصطفى الكاظمي في 2020، وفي الغالب يتم سحب الثقة والعمل على تعطيل قرارات حكومات معينة إذا اعتبرت مخالفة لتوجهات تلك القوى، وهو ما حال دون تمكن حيدر العبادي من الحصول على ولاية ثانية كرئيس للوزراء، أو الرضا الحالي لمصطفى الكاظمي من قبل القوى السياسية الشيعية المدعومة من إيران.

5. الخاتمة:

وجد العراق نفسه ساحة للتنافس بين العديد من القوى الإقليمية والدولية، ولعل أبرزها التنافس الإيراني- الأمريكي الذي مس كل قطاعات الدولة العراقية، وعقد من المشكلات السياسية والأمنية، إذا حال دون تحقيق إصلاح للقطاع الأمني واستعادة الدولة لاحتكارها المشروع لوسائل العنف، وعمق من الانقسامات السياسية والاجتماعية، وكرس الولاء الأجنبي الذي جعل المصلحة الوطنية العراقية رهينة للتوافقات بين تلك القوى المتنافسة، ويبقى الخطر الأكبر إمكانية حدوث مواجهة عسكرية مباشرة بين القوات الأمريكية وإيران ووكلائها، يكون العراق حتما ساحة لها.

واستنادا على كل ما سبق توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات التي يمكن أن تكون أساسا نظريا لدراسات أخرى متعلقة بالموضوع، وهي كالآتي:

- حالة العداء بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية خدمت البلدين معا، فبالنسبة لواشنطن يمثل التهديد الإيراني مبررا لوجودها العسكري في المنطقة، ونفقاتها العسكرية المتزايدة أمام دافعي الضرائب الأمريكيين، ناهيك عن فعاليتها في إعادة رسم خريطة العلاقات البينية في المنطقة، وإعادة تشكيل النظام الأمني في الشرق الأوسط، وموجة التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية مدفوعة بالدرجة الأولى بهدف إحتواء النفوذ الإيراني، ناهيك عن صفقات السلاح المتنامية لدول مجلس التعاون الخليجي، من أجل ردع التهديد الإيراني. في حين مكن العداء مع واشنطن القادة في إيران على تحقيق تماسك وطني داخلي وراء مشروع طهران، في ظل بعض الممارسات التسلطية والتعسفية، فضلا عن منحها القدرة على تعبئة الجماهير الشيعية في المنطقة خدمة لاستراتيجيتها الإقليمية، على غرار الحرب الأهلية في سوريا ونحوها.
- تشكل الانقسامات السياسية، وانتشار الفواعل المسلحة غير الدولانية عامل جذب للتدخلات الأجنبية في البلاد، والتي بدورها تعمق من تلك الانقسامات، وتفاقم المأزق الأمني بها، فتحول دون تحقيق مصالحه وطنية، واسترجاع الدولة لحقها المشروع في احتكار وسائل العنف.
- الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003 هو العامل الأول وراء تنامي النفوذ الإيراني في العراق، لأنه خلق فراغا سياسيا وأمنيا ملأته قوى سياسية وأمنية مدعومة من طهران، ومنح صعود تنظيم الدولة الإسلامية أيضا فرصة حيوية لكل من إيران والولايات المتحدة لزيادة تواجدها العسكري، وأداء دور نشط في الشأن الداخلي العراقي، ومن ثم تعزيز نفوذها في البلاد.
- إن من مصلحة إيران الجيوسياسية بقاء العراق كيانا موحدًا تحت هيمنة القوى السياسية الشيعية، لكن دون امتلاكه لقوة اقتصادية وعسكرية كبيرة تجعله مصدرا لتهديد كامن أو محتمل لها في المستقبل، وفي مقابل ذلك،

- تسعى الولايات المتحدة لإدماج إيران في الترتيبات الأمنية الجديدة في الشرق الأوسط كبلد مساهم للتوجهات الأمريكية دون أن يكون مصدر تهديد أمني في منطقة الخليج أو على إسرائيل.
- إن تخفيف أثر حدة التنافس بين الولايات المتحدة وإيران على العراق، مرهون بنجاح العراق في استرجاع احتكاره المشروع لوسائل العنف وحصر السلاح بيد القوات الأمنية النظامية من جهة، وتنويع شركائه الدبلوماسيين والاقتصاديين على المستوى الإقليمي والدولي من جهة أخرى.
 - إن أي تحسن في العلاقات بين إيران والولايات المتحدة سينعكس حتما على الديناميكيات السياسية والأمنية في العراق، وهو مرتبط بتفهم البلدين للحاجات الأمنية والاستراتيجية لكليهما، غير أن السيناريو الأرجح، على الأقل في المستقبل القريب، هو بقاء حالة "لا سلم، لا حرب" التي تطبع العلاقات، وذلك نظرا لتعقيد المسائل الخلافية بين البلدين، والتي قد تجعل التصعيد العسكري واردا.
6. الهوامش:

¹- Kenneth Katzman, "Iran: Internal Politics and U.S. Policy and Options," *Congressional Research Service*, Report 32048 (July 2021) pp. 19-20.

²- Maria Do Ceu Pinto, *Political Islam and the United States: A Study of U.S. Policy towards Islamist Movements in the Middle East* (London: Garnet Publishing, 1999), p. 126.

³- Ray Takeyah, *Hidden Iran: Paradox and Power in the Islamic Republic* (New York: Times Box, 2006), p. 1.

⁴- ترينتا بارزي، *حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة*، ترجمة أمين الأيوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008)، ص. ص. 171-175.

⁵- Takeyah, *op. cit.*, pp. 138-47.

⁶- Anthony H. Cordesman, *U.S. and Iranian Strategic Competition: Competition in Iraq* (Washington D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2011), p. 7.

⁷- Katzman, *op. cit.*, p. 22.

⁸- Ross Harrison, "The U.S.-Iran Showdown: Clashing Strategic Universes amid a Changing Region," *Aljazeera Center for Studies*, April 16, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tzQq>

⁹- Tekayah, *op. cit.*, pp. 117-18.

¹⁰- "Zarif: Security in the Persian Gulf is either for All or for None," *Iran International*, October 10, 2019, Available from: <http://bitly.ws/tApH>

¹¹- Kenneth Katzman, "Iraq-Iran Relations," *Congressional Research Service*, Report 7-5700 (August 2010), p. 10.

¹²- صفيانز محمد أحمد، "الحوار الاستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة... معضلات الإنسحاب والشراكة"، *مركز الأهرام*

<http://bitly.ws/tzRc> على الموقع: 4 أوت 2021

¹³- Anthony H. Cordesman, "Iraq is the Prize," *Center for Strategic and International Studies*, March 20, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tA4j>

¹⁴- "Camp Ashraf and Camp Liberty," *National council of Resistance of Iran*, available from: <http://bitly.ws/tA4m>

¹⁵- Erica Gaston and Douglas Ollivant, "U.S.-Iran Proxy Competition in Iraq," *Center on the Future of War* (February 2020), p. 15.

- ¹⁶- Alireza Nader, "Iran's Role in Iraq: Room for Cooperation?," *Rand Corporation* (June 2015), p. 6.
- ¹⁷- Michael Knight, "Iraq's Two Coups and How Should the U.S. Respond," *The Washington Institute for Near East Policy*, August 2, 2022, Available from: <http://bitly.ws/tA57>
- ¹⁸- Michael Knights, Michael Eisenstadt, "Iran's Influence in Iraq: Countering Tehran's Whole-of-Government Approach," *The Washington Institute for Near East Policy* (April 2011), p. 8
- ¹⁹- Philip Smith, "The Shiite Jihad in Syria and Its Regional Effects," *the Washington Institute for Near East Policy* (2015), p. 3.
- ²⁰- "المهندس: لولا دعم إيران لما تمكنا من إستعادة الأراضي من داعش،" *وكالة تسنيم الدولية للأخبار*، 28 أكتوبر 2016، على الموقع: <http://bitly.ws/tApT>
- ²¹- Nader, *op. cit.*, pp. 3-4.
- ²²- لقاء مكّي، "العراق والتحوّلات السياسية بعد اقرار نتائج الإنتخابات،" *مركز الجزيرة للدراسات*، 29 ديسمبر 2021، على الموقع: <http://bitly.ws/tAo8>
- ²³- Anthony H. Cordesman, *Iraq in Crisis* (Washington D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2014), pp. 8-9.
- ²⁴- Christopher M. Blanchard, "Iraq and US Policy," *Congressional Research Service*, In Focus report (June 2020), p. 2.
- ²⁵- Gaston, Ollivant, *op. cit.*, p. 23.
- ²⁶- Christopher M. Blanchard, "Iraq and US Policy," *Congressional Research Service*, In Focus report (July 2022), p. 2.
- ²⁷- لقاء مكّي، "المحاولة الفاشلة لإغتيال الكاظمي: مرحلة جديدة في العراق،" *مركز الجزيرة للدراسات*، 8 نوفمبر 2021، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoq>
- ²⁸- Farhad Alaaldin, "Iraq-U.S. Strategic Dialogue: Finding Agreement within Contention," *the Washington Institute for Near East Policy*, August 18, 2020, available from: <http://bitly.ws/tAoS>
- ²⁹- عبد الناصر المهداوي، "دور العراق ومكانته الإقليمية بين إيران والعالم العربي،" *رؤية تركية*، م. 3، ع. 10 (صيف 2021)، ص. 100-120.
- ³⁰- مجدي عبد الرسول، "مقتدى الصدر: أرفض تدخل إيران في شؤون بلادي،" *موقع آمان*، 28 أبريل 2019، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoA>
- ³¹- أسامة أبو رشيد، "اغتيال سليمان: قرار إنفعالي أم استراتيجية أمريكية جديدة ضد إيران؟" *المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات*، 19 جانفي 2020، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoy>
- ³²- Katherin Lawlor, Brandon Wallace, "Iran's Proxies Accelerate Soleimani's Campaign to Compel U.S. Withdrawal from Iraq," *Institute for the Study of War*, April 2, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoE>
- ³³- Michael Knights, "Pushing Back on Iraqi Militias: Weighing U.S. Options," *the Washington Institute for Near East Policy*, September 25, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoK>
- ³⁴- "النجباء العراقية على قائمة الإرهاب الأمريكية،" *موقع الجزيرة الإخبارية*، 3 جوان 2019، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoP>
- ³⁵- Michael Knights, Hamdi Malik, Aymenn Jawad Al-Tamimi, "the Future of Iraq's PMF," *the Washington Institute for Near East Policy*, May 28, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoX>

7. قائمة المراجع:

1.7 باللغة العربية:

1. أبو رشيد، أسامة، "اغتيال سليمان: قرار إنفعالي أم استراتيجية أمريكية جديدة ضد إيران؟" *المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات*، 19 جانفي 2020، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoy>
2. المهداوي، عبد الناصر، "دور العراق ومكانته الإقليمية بين إيران والعالم العربي،" *وثيقة تركية*، م. 3، ع. 10 (صيف 2021)، ص. 100-120.
3. "النجباء العراقية على قائمة الإرهاب الأمريكية،" *موقع الجزيرة الإخبارية*، 3 جوان 2019، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoP>
4. "المهندس: لولا دعم إيران لما تمكنا من إستعادة الأراضي من داعش،" *وكالة تسنيم الدولية للأنباء*، 28 أكتوبر 2016، على الموقع: <http://bitly.ws/tApT>
5. بارزي، تريتيا، *حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة*، ترجمة أمين الأيوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008).
6. عبد الرسول، مجدي، "مقتدى الصدر: أرفض تدخل إيران في شؤون بلادي،" *موقع آمان*، 28 أبريل 2019، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoA>
7. محمد أحمد، صفيانز، "الحوار الاستراتيجي بين العراق والولايات المتحدة... معضلات الإنسحاب والشراكة،" *مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية*، 4 أوت 2021، على الموقع: <http://bitly.ws/tzRc>
8. مكّي، لقاء، "المحاولة الفاشلة لإغتيال الكاظمي: مرحلة جديدة في العراق،" *مركز الجزيرة للدراسات*، 8 نوفمبر 2021، على الموقع: <http://bitly.ws/tAoq>
9. مكّي، لقاء، "العراق والتحول السياسي بعد اقرار نتائج الإنتخابات،" *مركز الجزيرة للدراسات*، 29 ديسمبر 2021، على الموقع: <http://bitly.ws/tAo8>

2.7 باللغة الأجنبية:

1. "Camp Ashraf and Camp Liberty," *National Council of Resistance of Iran*, available from: <http://bitly.ws/tA4m>
2. "Zarif: Security in the Persian Gulf is either for All or for None," *Iran International*, October 10, 2019, Available from: <http://bitly.ws/tApH>
3. Alaaldin, Farhad, "Iraq-U.S. Strategic Dialogue: Finding Agreement within Contention," *the Washington Institute for Near East Policy*, August 18, 2020, available from: <http://bitly.ws/tAos>
4. Anthony H. Cordesman, "Iraq is the Prize," *Center for Strategic and International Studies*, March 20, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tA4j>
5. Anthony H. Cordesman, *Iraq in Crisis* (Washington D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2014).
6. Anthony H. Cordesman, *U.S. and Iranian Strategic Competition: Competition in Iraq* (Washington D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2011).

7. Blanchard, Christopher, "Iraq and US Policy," *Congressional Research Service*, In Focus report (June 2020).
8. Blanchard, Christopher, "Iraq and US Policy," *Congressional Research Service*, In Focus report (July 2022).
9. Do Ceu Pinto, Maria, *Political Islam and the United States: A Study of U.S. Policy towards Islamist Movements in the Middle East* (London: Garnet Publishing, 1999).
10. Gaston, Erica, and Ollivant, Douglas, "U.S.-Iran Proxy Competition in Iraq," *Center on the Future of War* (February 2020).
11. Harrison, Ross, "The U.S.-Iran Showdown: Clashing Strategic Universes amid a Changing Region," *Aljazeera Center for Studies*, April 16, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tzQq>
12. Katzman, Kenneth, "Iran: Internal Politics and U.S. Policy and Options," *Congressional Research Service*, Report 32048 (July 2021) pp. 19-20.
13. Katzman, Kenneth, "Iraq-Iran Relations," *Congressional Research Service*, Report 7-5700 (August 2010).
14. Knight, Michael, "Iraq's Two Coups and How Should the U.S. Respond," *The Washington Institute for Near East Policy*, August 2, 2022, Available from: <http://bitly.ws/tA57>
15. Knights, Michael, "Pushing Back on Iraqi Militias: Weighing U.S. Options," *the Washington Institute for Near East Policy*, September 25, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoK>
16. Knights, Michael, Eisenstadt, Michael, "Iran's Influence in Iraq: Countering Tehran's Whole-of-Government Approach," *The Washington Institute for Near East Policy* (April 2011).
17. Knights, Michael, Malik, Hamdi, and Jawad Al-Tamimi, Aymenn, "the Future of Iraq's PMF," *the Washington Institute for Near East Policy*, May 28, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoX>
18. Lawlor, Katherin, Wallace, Brandon, "Iran's Proxies Accelerate Soleimani's Campaign to Compel U.S. Withdrawal from Iraq," *Institute for the Study of War*, April 2, 2020, Available from: <http://bitly.ws/tAoE>
19. Nader, Alireza, "Iran's Role in Iraq: Room for Cooperation?," *Rand Corporation* (June 2015).
20. Smith, Philip, "The Shiite Jihad in Syria and Its Regional Effects," *the Washington Institute for Near East Policy* (2015).
21. Takeyah, Ray, *Hidden Iran: Paradox and Power in the Islamic Republic* (New York: Times Box, 2006).